

## بِكَمَلِ السَّيْلِ وَالْحَقِيقِ

عن جبريل عليه السلام عن النبي

تمهيد . . .

العقل هو تلك الجوهرة الفريدة . والدرة النفيسة ، التي تميز بها ابن آدم عن سواه . . . يقول الله تبارك وتعالى ، ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من العلیات وفعلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً ، (١) والإنسان بتلك الجوهرة أصبح يمثل عالماً مستقلاً في كون الله الكبير له جواربه الباهرة ولهداياته الرائجة .

والفرآن المجید الذي أنزله الله على محمد ﷺ ، يدعو إلى النظر في ملكوت الله الشامخ والتفكير في أعمق أسعافه لاستيعاب أسرارہ والوقوف على نواحيه . وهو مخاطب العقل الانساني ويتوجه إليه أن يعرف مكانته اللاتقة به ، ويدرك ومنه الصحيح وهو أيضاً وضع القيادة والزمام والإبداع والاستكشاف والتخليق والهدم وبذلك يصل العقل إلى مستواه الرفیع ، ويبلغ غايته المنصودة .

فأصبح حرياً بأن يتلقى من ربه القيودات ، عابطة عليه من عالم العلويات ويرحم الله من قال مخاطباً الإنسان ، متحدثاً عن اللطيفة الربانية فيه  
دواؤك فيك وما تبصر ودأوك منك وما تبصر  
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(١) الإصرار : ٧٠

( ٢١ — حولى أصول الدين — ع ٧ )

فما الإنسان بدون عقل ؟ وما الأعمى بلا إدرارك ووازع ؟ إن العقل  
مقياس سليم للإنسان يحسبكم إليه ، ومقياس جماعتي يقيس به الأمور في دقة  
ويحسبكم على الأشياء في انصاف . . فمما يتة النبيلة أن يحفظ صاحبه من  
القطال وإصواته من العثرات ، ويرفضه من الوهات وأن يرسم له حياة  
سداها القرة ولحمها الهداية حتى لا تنبذ به السيل ولا تنجس به الخطى (١)

ولا نرى ديننا رفع من شأن العقل ولا شريعة أركت من مواهبه ،  
وقد ربه حتى قد ربه كدين الإسلام وكشريعة الإسلام .

ولذا تحدث الله عن قوم في معرض الشرف والفخار . وفي محسان  
الإعزاز والتكريم وجدنا القرآن الكريم يوزم في عدة آيات منها قول الله  
: « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي  
الالباب » (٢)

وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » (٣)

وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٤)

ونرى القرآن الكريم على أولئك الذين ألفوا عقولهم وعطروها عن  
الفكر والنظر والتأمل ولم ينتفعوا بهذه الملكات التي منحها الله لهم وكرمهم  
بها في الوقوف على قدرة الصانع وجلال الخالق وقوة الرازي ولم يغادروا  
إلى حظائر الإيمان وكال الإسلام والإذعان للحق واليقين بل لم يستخرجوا  
عقولهم في مجالات الحياة التي خلقوا من أجلها والعمل على استغلال  
الثروات والموارد الطبيعية والطاقت المتاحة من أجل سعادة الفرد وتقدم  
الأمم والشعوب .

(١) ميزان العقل د / عبد الفتاح محمد سلامة .

(٢) آل عمران : ١٩٠ (٣) النكبات : ٤٣

(٤) الحشر : ١١٤

قال تعالى : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أول لو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يشعرون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاءً ونداءً سمعهم يسمعون له (١)

ومن المأسف والمخزي أن ينسکر الإنسان لهذه النعمة العظيمة التي كرمه الله بها واختاره للخلافة في الأرض فيدده هذه الطاقة من العقل والفكر والإدراك والوهي وراح يصرها بالسرور والمفردات ويطلق فيها نور الإيمان واليقين .

قال تعالى : فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور (٢)

## قيمة العقل

أن حدة الذكاء ، وبقظة الفكر ، وإستئادة الرأي ، عناصر لا بد منها في تكوين الإيمان الصحيح ، فإن الإيمان معرفة بلغت حد اليقين ، وانتفتت معها الروعة .

وحيث لا يوجد الإدراك الواضح ، والفهم الناضج يرداد القلب بالله معرفة ويقينا .

فالعقول الذكية وحسدها هي التي تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله في شتى الأمكنة والأزمنة (١) .

قال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢) .

وقال تعالى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِثَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (٣) .

وبالنظر إلى الآية الثانية نجد أن الله تعالى يقول : لآيات لأولي الألباب ، أي العقول الناعمة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون الذين قال الله فيهم .

« وكان من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٤) .

---

(١) ليس من الإسلام للشيخ / محمد الفزالي : ٤٧

(٢) فاطر : ٢٨

(٣) آل عمران : ١٩٠

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤٣٨/١

والعقول الذكية وحدها هي التي تميز الحق من الباطل ، وتعرف حقائق الوحي ، من نزعت الهوى وتلفيق الضلال ، أفن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولوا الألباب » (١) .

والعقول الذكية وحدها هي التي تستفيد من عبر المصاحي ، وتتفهم بتأريخ الإنسانية الطويل ، وقصص الأبطال من المصالحين .

قال تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » (٢) .  
ولا تكون الحكمة في معالجة الأمور ، والشفقة في الحكم على الأشخاص والمسائل ، والعلم بالمقدمات والنتائج ، إلا لأصحاب العقول الراجحة والمدفوك الواسعة والمواهب الراضية .

قال تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوفى كثيراً ، وما يذكر إلا أولوا الألباب » (٣) .

ولكن بعد من ذوى العقول القوية من يحيد عن مناهج . الإستقامة وأصول الفضائل ، ومن يشرده على تعاليم الدين .

بيد أن هذا يقل من قيمة العقل ولكنه يبين لنا خطورة الشهوات الجامحة ، والآهراء التي قد تصرف المرء عن الحق وهو يصره .

ثم إن محاربة الجهل أن يطنى على العقل ، لا تغنى عن محاربة الفساد أن يتطرق إلى المفرد .

والحكمة التي أصابتنا في تاريخنا الطويل ، جاءت من فساد عقول العامة ومن فساد ضمائر القلة الحاكمة .

(٢) يوسف : ١١١

(١) الرعد : ١٩

(٣) البقرة : ٢٦٩

فهذا أصلنا الحقول بالتعليم الشامل ، أصحها الشعب ، فلم يبق أمام فاسدى  
الغنى ما يعجزه البقاء .

ذلك أن التسوية المتمثلة قوة ، تبارها القذى والنفا (١) .

قال تعالى : « لما ما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في  
الأرض » (٢) .

---

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية للشيخ / محمد الغزالي : ١٢٥

(٢) الزهد : ١٧

## حماية العقل

لما كان العقل هو مناط التكليف في الإنسان . وبه كرم ، وبه استخلفه الله في الأرض ، وسخر له كل ما في الكون وجعل له السيادة والسيطان عليه يسير وفق إرادته ومشيته .

كان لا بد من حماية هذا العقل وصونه من الاعتداء عليه ، أو العبث به فكانت تعاليم الإسلام وتشريعاته التي نهى عن الناس .

تعاطوا أي شيء من شأنه أن يذهب عقولهم ، أو يفسد عليهم ليهم واقتد بهم (١) .

ونظراً لهذه الميزة العظيمة التي يكتسبها العقل من الإنسان ، والتي سما بسببها على سائر المخلوقات ، نهى سبحانه عن كل شيء يتسبب في تعطيله عن القيام بوظيفته التي خلق لأجلها ، ووظيفته التي أودع جسم الإنسان لأدائها قال تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٢) .

إلا أن هذا التعطيل قد يكون من الخارج بأن يعتدى عليه إنسان آخر بضرب أو تخويف أو نحوهما فيترتب على ذلك ذهاب عقله ، وفي هذه الحالة يوجب الشارع الحكيم على المتسبب دفع دية كاملة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مناط الإنسية هو العقل أما إذا كان التعطيل من صاحب العقل نفسه بأن تنسارل شيئاً يغيب عقله بحيث يمنعه من القيام بوظيفته . فقد رتب الشارع على ذلك عقوبة رادعة لقد كان التشريع الإلهي بتحريم المكورات من أجل النعم على الإنسان وأبعدا

(١) هذا ديننا للمسيح/عبد الغفراني ١٦٣

(٢) الداريات ٤٦

أراً في حياته ، سواء في تنظيم علاقته بربه أو علاقته بمجتمعه ، والإنسان العاقل هو الذي يستطيع أن يحافظ على هذا التنظيم بحيث يعطى كل ذي حق حقه (١) .

إن الغاية من التشريع هي مصالح الناس ، وهذه المصالح منها ما هو عام ومنها ما هو خاص . والمصلحة الخاصة تتعلق بأحد جوانب الحياة وينظمها حكم خاص في التشريع ، أما المصلحة العامة للتشريع فهي أن يكون هناك قانون عام يحكم الناس في أفعالهم ومعتقداتهم بحيث لا تكون أفعالهم حيثاً لذا كان من الواجب أن يكون الحاكم رسولا من قبل الله تعالى وتعاطى المخدرات يتعارض مع حفظ العقل بل يتعارض كذلك مع حفظ الدين والنفس والمال والعرض لأنه يفسد العقل بما يحدثه من تأثير مدمر عند متعاطيه . فالمخدرات تصيب متعاطيها بالذهول والهلوسة التحلل وتفقد القدرة على تقدير الأمور بل تجعله عرضة لتهمة انحراف من الضحك والهلوسة وهي أمور حرمها الشرع بشكل قاطع بقوله عز وجل :

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » (٢) .

وقوله تعالى : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٣) .

ويقول الرسول ﷺ :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » (٤) .

(١) المكدرات وأثرها وعلاجها في الشريعة الإسلامية د / أحمد طه

بريان ٦

(٢) البقرة ١٩٠

(٣) النساء ١٤٨

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر باب التحريم للظلم ١٩٩٦/٤ من سالم

من أبيه .



وقوله ﷺ : «يحبس أمرى» من الشر أن يحقر أخاه للمسلم كل المسلم  
هل المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، (١) .

وقوله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ، (٢) .

وإذا كان هناك من يذهب أن للمخدرات مفاعلاً فإن ذلك على فرض  
صحته فعلاً عن عدم ثبوته لا يبرر بالمرّة إباحة تعاطيها فليس كل ما يراه  
الناس مرغوباً يجب أن يباح أو يطلق قيده فليس كل ما يجمع عليه  
الناس صواباً .

قال تعالى : «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله» (٣)

وقال تعالى : «ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض» (٤)

فالإنسان مع منحه الحق قد لازمه الهوى ، والأهواء تصد العقل عن  
الإدراك كما أن المتافع العاجلة يضل العقل معها عن إدراك حوائجها كذلك  
فإن المتافع والمضار مشوبة بالمفاسد ، والمفاسد قد تصاحبه مصالح ولهذا  
كانت العقول في أشد الحاجة إلى بيان الشارح للمصالح ، والمفاسد فكانت  
الشرعية هي مصدر الحسن والقبح قال تعالى :

«وصى أن تذكروا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تصبوا شيئاً وهو  
شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ «سباب  
المسلم فسوق وقتاله كفر» ٨١/١ عن عبد الله بن مسعود

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم ١٩٨٦/٤ عن  
أبي هريرة

(٤) المؤمنون ٧١

(٣) الأنعام ١١٦

(٥) البقرة ٢١٦

أذن فإن تعاطي المخدرات فضلاً عن الإدمان عليها يتعارض مع المصالح التي هي غاية التشريع فهو معصية مما منعت الشريعة الإسلامية وإلى الأمر سلطة العقاب عليها .

ومن تتبع الفقهاء للأحكام تبين لهم أنها وضعت لمصالح الناس وهو ما يدل قول الله سبحانه وتعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) .

وأساس الرحمة جلب المنفعة ودفع الضرر (٢) .

وقول ابن القيم في ذلك « الفريضة معهاها وأسامها على حكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد » (٣) .

ويقول الإمام الشاطبي :

« وضع الشارع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً ، وعندما حرم الإسلام المخدرات فإنه كان يستهدف حفظ إيمان المؤمن وسلامه وحظه ودينه وماله .

وما حرم الإسلام شيئاً إلا إذا كان فيه ضرر للإنسان سواء أكان ضرراً مادياً أم معنوياً والمخدرات أضرارها مادية ومعنوية معاً لذلك شدد الفقهاء في عقوبة بائعها ومتعاطيها تشديداً بلغ حد تطبيق عقوبة القتل والصلب عليهم وهي أشد عقوبة يمكن أن يتعرض لها الإنسان . » وذلك

(١) الأنبياء ١٠٧

(٢) موقف الشريعة الإسلامية من تعاطي المخدرات د / أحمد المجهوب ٨١

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٢٨

لأن المخدرات قد تقتل متعاطيها ، وتبهد ماله ، وتجلب له الفقر ، فعننا  
من أنه يفقد إيمانه وعقله ، ويصبح بلا إيمان ولا عقل . وفي الإسلام  
قاعدة أصلية وهي أن المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن  
الضعيف ... وقد أثبتت الدراسات الطبية أن المخدرات تفقد الجسم مناعة  
فلا يقدر متعاطيها على موازنة أى عمل .. مما يجعله عبثاً على المجتمع وحالة  
على غيره كما يصاب بالحقول والكسل ولا يستطيع أداء العبادات ويضيق  
بإنفاق ماله إلا على المخدرات ومن ثم لا يصبح شرة مقصوراً إلا على  
نفسه وإنما يمتد لجميع فهو مثل « هوم » ، للشباب وعشور أشل . يأخذ ولا  
يعطي ويستهلك ولا ينتج وليس في الإسلام شيء أشد مقناً من إيمان  
ساحل ، لا يؤدي ما فرضه الله عليه من حقوق ... ويتناول الحقائق  
ويشأخى عن الطيبات ولو نظراً إلى مبادئ الإسلام نظرة فاحصة لرأينا  
أن القرآن الكريم يحث على التأمل والتدبير ، حتى يزداد المؤمن إيماناً  
بطلاقة القدرة ... ومن هنا كان الحفاظ على العقل حفاظاً على الإيمان  
رسوماً للقبلة .. أما من فقد عقله تمت تأثير مخدر تعاطاه ودفع ثمنه من  
قوته وقوت أولاده ، فإنه يفقد أهل وأمن ثروة منحها الله له . إذ يفصل  
عن إيمانه ووعيه وأدراكه وتتعلل وظائف القدرة فيه على العمل وعلى  
العبادات ، وتنطفيء فيه جذوة النشاط والطموح .

ولعل الحكمة من تشديد عقوبة المخمورين وتعاطي المخدرات في  
الإسلام أنهم جحدوا نعمة الله في عقولهم ففعلوها بتأثير المخدرات وجحدوا  
نعمة الله في مالهم ، فبددوها في السوم وجحدوا نعمة الله في صحتهم  
فأهدروها يتناول ما نبه الله منه وحرمة على الإنسان (١)